منهج السنة النبوية في مواجهة معوقات السلم المدني

(ظاهرة التطرف الديني نموذجًا)

فيروز زيادي
fairouziadi@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة التطرف الديني التي أصبحت تشكل أهم المشكلات التي تعيق السلم المدني في الواقع المعاصر، حيث أخذت في السنوات الأخيرة أبعادا خطيرة انعكست سلبا على الفرد والمجتمع. الأمر الذي جعل المجتمعات المسلمة المعاصرة تعاني منها معاناة شديدة، وعليه فإن البحث سيعرج على النقاط الآتية: (1) التعرف على أسباب التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة في ضوء السنة النبوية؛ (2) بيان آثار التطرف الديني على الفرد والمجتمع؛ (3) بيان منهج النبي ﷺ في مواجهة هذه المشكلة الخطيرة، وذلك من خلال تفعيل منهج الوسطية في حياة المسلمين، بهدف تحقيق السلم المدني، وتحقيق مقصد وحدة الأمة الإسلامية باعتبارها مناط التكليف برسالة الشهود الحضاري. وقد استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي الوصفي، كما استعرض البحث في الخاتمة أبرز النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: منهج، السلم المدني، ظاهرة التطرف الديني.

مقدمة

تعتبر الوسطية القاعدة التي يرتكز عليها الإسلام والمنهج الذي يسير عليه في شتى مجالات الحياة من عبادات ومعاملات فهي عماد بناء المجتمع، والابتعاد عنها يعني الدخول في دائرة التطرف الديني المنهي

عنه شرعًا، كونه يشكل أهم معوقات السلم المدني في الواقع المعاصر، والمعول الذي يهدم الإسلام، وما تعانيه مجتمعاتنا المسلمة اليوم من تناطح وتناحر وتكفير وعنف.. وغيره؛ إنما هو في الحقيقة نتيجة طبيعية للأفكار الغالية الناتجة عن الجهل بالدين. وعليه فقد يكون التطرف الديني بين ديانتين كاليهودية والإسلام، أو داخل دولة واحدة وديانة واحدة، كما يحدث الآن في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة. وهو المقصود بالدراسة.

مشكلة البحث: يعتبر التطرف الديني من أهم المعوقات التي تعيق السلم المدني في المجتمعات المسلمة المعاصرة، وعليه كيف يمكن معالجة ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة في ضوء السنة النبوية؟

أسئلة البحث: وتتمثل فيما يلي

1-ما الأسباب المفضية إلى التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة في ضوء السنة النبوية؟

2- ما الآثار المترتبة عنه؟

3-ما منهج النبيﷺ في علاج التطرف الديني؟

وعليه سيعرج البحث على العناصر التالية:

*تعريف الكلمات المفتاحية: منهج، السلم المدني، التطرف الديني.

* بيان أسباب التطرف الديني.

* التعرف على الآثار المترتبة عنه.

* بيان منهج النبي ﷺ في علاج التطرف الديني.

أولا: التعريف بمصطلحات البحث:

منهج: النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول النهج: الطريق المستقيم، ونهج لي الأمر: أوضحه، والثاني المنهج: الطريق، والجمع المناهج، والمنهاج: الطريق الواضح. وهو كذلك "الإجراءات والخطوات

الخاصة ببحث معين"، وتقصد الباحثة بالمنهج الطريقة التي اتبعها الرسول ﷺ في تشخيص الأسباب التي أدت إلى التطرف الديني، وكيفية مواجهتها تحقيقًا للسلم المدني في المجتمع المسلم.

السلم المدني: فهو يتضمن معنى السلام بشكل عام، ويُعرف بغياب المظاهر السلبية في المجتمعات الإنسانية، وكل ماله علاقة بالعنف، كالإرهاب أو النزعات العرقية أو الدينية أو الطائفية، كما يحتوي المفهوم على وجود المظاهر الإيجابية في المجتمع؛ كالاستقرار والسعادة، والصحة والأمن والاطمئنان. بينما يعني السلم المدني عند الباحثة هو نبذ العنف والتطرف الفكري والسلوكي، وإحلال ثقافة التسامح والتعايش السلمي والاعتراف بالآخر.

ظاهرة التطرف الديني: هي ظهور سلوك لدى المسلم يخالف به غيره من المسلمين على مستوى مبادئ الدين الإسلامي، وشعائره، وشرائعه، مع محاولة إلزام الغير به.

وقد يكون التطرف الديني بين ديانتين كاليهودية والإسلام، أو داخل ديانة واحدة كتطرف الشيعة ضد السنة، أو قد يكون تطرف جماعة ضد جماعة أخرى، كما قد يشمل الأفراد أو الدولة. والتطرف الديني الذي يكون داخل دولة واحدة وديانة واحدة، كما يحدث الآن في مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة؛ هو في الحقيقة أشد خطرا من التطرف الديني الموجود بين ديانتين مختلفتين، ويدخل في دائرة تطرف المبالغة وتجاوز الحد.

موقف الإسلام من التطرف الديني

لا شك أن الإسلام الذي ينادي بالوسطية يرفض التطرف جملة وتفصيلا وقد ورد التحذير من أخطار هذه الظاهرة، كونه بعيدا عن طبائع وقدرة البشر المحدودة لقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا**

فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (سورة المائدة: 77). كذلك ورد التحذير والنهي عنه في السنة النبوية كما جاء في الحديث عن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**لا تشددوا على أنفسكم، فإنما هلك من قبلكم بتشديدهم على أنفسهم**». وجاء في حديث آخر: عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «**ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما**». ومن ثم نخلص إلى نتيجة مفادها أن ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة ليست من صميم الإسلام، بل هي دخيلة عليه.

ثانيا: الأسباب التي أدت إلى التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة في ضوء السنة النبوية

1- الجهل بالدين: حسب رأي الباحثة يرجع أكثر التطرف الديني إلى الجهل بالدين وليس إلى الدين نفسه، ذلك أن الله وهو أعلم بخلقه جعل الدين قادرا على أن يحي به المؤمنون رغم الاختلاف الطبيعي الموجود بينهم. ومن أمثلة الجهل بالدين التقول في الدين بغير علم، وتحكيم الرأي، وهو منهي عنه شرعا ومرتع الشاهد قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.﴾** (الأعراف: 33). ويدخل تحت الجهل بالدين ما يلي:

-الجهل بمقاصد الشريعة: يُعد الرسول ﷺ المعلم الأول لمقاصد الشريعة، حيث كان يعمل جاهداً على تعليم أصحابه في مناسبات مختلفة مقاصد الشارع الحكيم، حتى أصبحوا لا يقدمون على عمل أي شيء إلا بعد معرفة مقصد الشارع منه، ومع مرور الزمن نقص اهتمام المسلمين بالمقاصد، فأصبحوا لا يولون

اهتماماً كبيراً بها. وقد نبه الرسول ﷺ إلى خطورة الجهل بمقاصد الشريعة الإسلامية، كما جاء في حديث رواه البخاري بسند طويل قال فيه الرسول ﷺ: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا تجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة**».

ولا شك أن في الحديث نهي شديد اللهجة عن الأخذ بظواهر جميع الآيات القابلة للتأويل، والتي تؤدي في النهاية إلى مخالفة إجماع السلف، كما يدل الحديث أيضًا عن التحذير من التطرف الديني، وحمل النفس بخلاف ما جاءت به الشريعة.

-الخلط بين المذاهب الاعتقادية والفقهية

تختلف المذاهب الفكرية في البلاد الإسلامية على نوعان:

1-اختلاف المذاهب الاعتقادية: وهو أخطرهم على الإطلاق على البلاد الإسلامية. وهي الضربة التي قصمت ظهر المسلمين وفرقت شملهم.

2-اختلاف المذاهب الفقهية: وهو اختلاف فقهي، وهو منطقي جدا لأن النصوص الأصلية تحتمل أكثر من معنى واحد، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة، فالنصوص محدودة والوقائع لا تنتهي ولا شك أن هذا الأمر فيه كثير من الرحمة والخير وتسهيل حياة الناس. كما أنه يعتبر ثروة حقيقية لا يمكن التفريط فيها، لكن هناك بعض المتطرفون يصورون الاختلاف المذهبي كأنه اختلاف عقدي فيطعنون في أقوال العلماء ويكفروهم، وهم بذلك يشككون الناس في دينهم كما أن هناك فئة أخرى تدعوا إلى التخلي عن جميع المذاهب وتبني خط اجتهادي جديد. وهم بهذا الأسلوب يضللون الناس ويفرقون كلمتهم في وقت نحن في أشد الحاجة إلى توحيد الكلمة وتوحيد الصف في مواجهة التحديات التي يفرضها نظام العولمة والغزو الغربي.

-التشدد في الفتوى: تمر الأمة الإسلامية في هذا العصر بظروف وتحديات صعبة للغاية، ولا شك أن الناس تحتاج فيه إلى التيسير في أمور دينها، إلا أن هناك بعض العلماء يذهبون للتشديد في الفتوى وتضييق على الناس في أمور تتسع للخلاف، وهذا دليل على الجهل بالدين وضيق الأفق. أو ربما بغرض إثبات فكر معين بعيدا تماما عن مراد الشرع. وكما قال العلماء: "المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور؛ فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال. والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة؛ فإنه قد بين أن مقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين؛ خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج به عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين"، ولا شك أن فيه زعزعة لاستقرار المجتمع، حيث يعتبر التشدد في الفتوى بمثابة المادة الدسمة التي تغذي التطرف الديني. لذلك لابد من العودة للوسطية في الفتوى والتجديد في علوم الفتوى بما يناسب العصر.

2- التعصب الفكري: ونقصد بالتعصب "غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه، وإغراقه في استنكار ما سيكون على ضد ذلك الرأي حتى يحمله الإغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة، ومنعهم من إظهار ما يعتقدون، ذهابًا مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه وإثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق". وإذا سلمنا القول"بأن التعصب ضيق الأفق وهوى ذهني يجعل المتعصب لا يرى إلا فكره، ويلغي أي فكر آخر على الوجود، وحضارتنا الفكرية القائمة على يوم القيامة هي الضدية الأكيدة للتعصب الفكري، بل هي السماحة العقلية والوجدانية والسلوكية التي تستوعب العالم أجمع باختلاف فكره واختلاف معطياته واختلاف تنشئته وبيئته". ونظرًا لخطورته على الفرد والمجتمع فقد حذر الرسول ﷺ منها، بل وصل به الأمر أن تبرأ من كل من يستظل براية العصبية أو يدعوا لها أو ينصرها، فعن عبد الله البجلى قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قُتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية**»، ويدخل تحت التعصب الفكري مايلي:

– **التعصب المذهبي**: كأن يتعصب المتطرف مثلا لمذهب من المذاهب، سواء تعلق بأمور فقهية أو عقدية، تجعل المتطرف يحارب فكر الآخر بكل ما أوتي من قوة. وهذا نتيجة الجهل بالاختلاف المشروع وقبول الرأي الآخر. وقد نبه العلماء لهذا الخطر "باعتبار أن اعتياد الاستدلال لمذهب واحد قد يكسب الطالب نفورا وإنكارا لمذهب غير مذهبه، من غير إطلاع على مأخذه؛ فيورث ذلك حزازة في الاعتقاد في الأئمة، الذين أجمع الناس على فضلهم وتقدمهم في الدين، واضطلاعهم بمقاصد الشارع وفهم أغراضه". إضافة إلى ذلك غلق باب الاجتهاد الذي أدى إلى تجميد الفكر الإسلامي، خشية منهم إعمال العقل، حتى أصبح التفكير تهمة، وهذا بلا شك أثر على فكر المسلم بالسلب؛ فحدث التطرف الديني. ومن أمثلة التعصب الفكري الحركات الدينية المتعصبة، والتي تسمى بالحركات الأصولية، حيث أن أغلبها تتصف بالتعصب لمبادئها. لكن لابد من الاعتراف بأن هذه الحركات لم تأتي من فراغ، بل هي نتيجة طبيعية لانتشار الظلم وغياب حرية التعبير، والاستبداد من طرف السلطات الحاكمة، مع عدم وجود ديمقراطية حقيقية، كذلك غياب الحوار. أضف إلى ذلك هناك بعض الأنظمة الديكتاتورية في البلاد الإسلامية تمنع المتدينين من ممارسة شرائعهم التعبدية، وتمارس عليهم سياسية القمع. وهي بلا شك عوامل كافية لظهور حركات متطرفة في المجتمعات المسلمة المعاصرة. كرد فعل للإحساس بالتهميش والإقصاء، والاضطهاد والغربة في بلاد الإسلام. كما أفرزت الصحوة الإسلامية تيارات متطرفة تهتم بأحاديث الفتن وتروج لها، ولعل أحسن مثال على ذلك حديث الفرقة الناجية فعن عبد الله بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلا بمثل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله، إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة» فقيل له: ما الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». ولا شك أن سوء فهمهم للحديث أدى بهم إلى تكفير بعضهم البعض، حيث أن كل فرقة تدعي أنها الفرقة الناجية. وعليه ترى الباحثة أن هذا الحديث يحتاج إلى قراءة معاصرة

توحيدية يبحث فيها عن الكلمة السواء، بهدف جمع شمل الأمة. ومقابل هذه الحركات الأصولية المتطرفة ظهرت الحركات العلمانية التي جاءت نتيجة الانبهار بالحضارة الغربية، وتبنيها لأفكارها، والتي تقف في الطرف النقيض للحركات الأصولية.

اعتماد تأويل دون تأويل: وهو الذي عبر عنه القرآن بالغلو في الدين، وعبر الأصوليون بقاعدة: لا إنكار في مسائل الخلاف، ونتيجة التعصب في اعتماد تأويل دون تأويل، كفر كثير ممن ينسبون أنفسهم للسلفية فرقا كبيرة كالأشاعرة والماتوريدية وأهل الحديث. وعليه فقد جاء في الحديث عن أبي سعيد ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فانقطعت نعله فتخلف علينا يخصفها فمشى قليلا ثم قال: «**إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله**». ويدخل تحت التعصب في الدين حصر التأويلات الصحيحة لنصوص الوحي بالسلف الصالح دون سواهم، بدعوى أنهم خير القرون وهذا صحيح على الجملة لكن باب الاجتهاد في تأويل النصوص لم يغلق، والنظر فيها قائم إلى يوم الدين، ماعدا أصول العقيدة والشريعة والأخلاق.

3–اتباع الهوى: وقد يكون السبب في التطرف الديني هو اتباع هوى النفس، ما ينتج عنه فهم للأدلة الشرعية وتأويلها حسب مزاج الشخص، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (القصص:50)، ولا شك أن هناك أحاديث كثيرة تحذر من إتباع الهوى منها على سبيل المثال كما جاء في الحديث النبوي عن أبي برزة، عن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخشى عليكم، شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**»، وفي حديث آخر بسند طويل قال فيه الرسول ﷺ «**يخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**» ، وقد وضح الشاطبي وجه الدليل من الحديث حيث أن النبي ﷺ " أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم حتى لا يمكن في العادة انفصالها عنها وتوبتهم منها على حد ما يداخل داء الكلب جسم صاحبه فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك

الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث بمن خالفه"، وعليه فقد قادت الأهواء أهل التطرف المعاصرين إلى سل سيف الإرهاب على الأبرياء، وتفكيك المجتمع، وتكفير الحكام ..وغيرها. ويدخل تحت إتباع الأهواء ما يلي:

المبالغة في العبادات: ومثال ذلك الثلاثة الذين جاؤا للنبي ﷺ كما جاء في الحديث النبوي الشريف: أخبرنا حميد بن أبي حميد الطويل، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبيﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول اللهﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم له،لكني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». بهذه التناقضات ارتسم الإسلام في أعين هؤلاء المتطرفون إسلام المظهر، إسلام التشدد والعزلة إسلام منغلق يرفض التجديد والطموح، كما يرفض التعايش مع الآخر المختلف عنه، فهم يعيشون الحاضر بفكر متخلف ونسوا أن من كانوا قبلهم عاشوا زمانهم. ولا شك أن هذا الإسلام الذي يدعون إليه قابل لتبني كل البدع والخرافات، كما أنه سهل القضاء عليه بسبب نقص المناعة والتحصين. بالإضافة إلى ذلك ترى الباحثة أن غياب الفكر االوسطي في التعاطي مع المتغيرات في مجتماعتنا المسلمة المعاصرة أنتج لنا جيلا جديدا يعيش بين افراط وتفريط، ولا سبيل للخروج من مشكلة التطرف الديني إلا بالعودة للوسطية، والتي من خلالها نستطيع حفظ الثوابت. والتعامل مع المتغيرات، دون افراط أو تفريط.

ثالثا: آثار التطرف الديني

من أهم الآثار التي يخلفها التطرف الديني ما يلي:

– **تشويه صورة الإسلام:** ويرجع السبب في ذلك إلى الممارسات السيئة للدين، فكانت النتيجة أن أحدثوا حاجزا بين غير المسلم والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام. كما أن هؤلاء المتطرفون كانوا السبب في جعل بعض المسلمين يبتعدون عن عقيدتهم وعن منهج الوسطية والاعتدال، بدفعهم لإغراءات النظرية المادية وغيرها من العقائد الفاسدة.

– **صرف الأمة عن القيام بدورها الحضاري في الإصلاح:** عندما يسود التطرف الديني في المجتمع المسلم، فإن ذلك يجعل الأمة تنشغل بالقضايا الظنية المختلف فيها بدل الانشغال بالقضايا الجوهرية، ولا شك أن في ذلك تعطيل واستنزاف لطاقات الأمة. ومثال ذلك: انشغال بعضهم بضرورة إخراج المشركين اليوم من جزيرة العرب بأي طريقة حتى لو بالقتل أو التمثيل، مستدلين بحديث النبي ﷺ «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»..وغيرها.

– **الحروب والفتن والتخلف:** لا شك أن التطرف الديني يجر المجتمع إلى أوضاع سيئة، فيجعله يعيش في حروب وتخلف وفُرقة، الأمر الذي يجعل المجتمع يستبيح دم بعضه البعض. في ظل وجود فتوى تشجع على ذلك، ومن ثم فهو تهديد صريح لتطور المجتمع وديمومته.

–حدوث فوضى وتمزيق في النسيج الاجتماعي: إذا كان المسلم أسير لأفكار متطرفة يصبح ضره للمجتمع أكبر من نفعه، فهو يوجه طاقاته لهدم المجتمع. كذلك ما تسببه بعض المفاهيم الخاطئة التي أفرزها التطرف الديني؛ كالتكفير، والطعن في العلماء... وغيرها، وما يترتب عليها من اعتزال للمجتمع، واستباحة للأموال والأعراض والأنفس. مما يؤدي إلى ظهور تناقضات في المجتمع، فتكون النتيجة فوضى وتمزيق في النسيج الاجتماعي.

– مصادرة حرية الدعوة: لا شك أن له أثر سلبي على الدعوة، حيث يعمل المتطرف على التضييق على الدعوة وأهلها. وهذا بلا شك هو تحقيق لمخططات أعداء الدين بشن حملة ضد الإسلام بيد أبنائه.

إلى جانب ذلك فإن من الآثار السلبية التي يخلفها التطرف الديني هي: زهد الناس في التدين وربما يصل الأمر إلى الانقطاع عن العبادة؛ مخافة أن يصل بهم الأمر إلى التطرف الديني. كذلك زعزعة إيمان الناس بالدين فيحل الشك مكان اليقين في كثير من المسائل. إلى جانب شيوع المنكرات والمعاصي انتقاما من المتطرفين. وإشاعة الخوف والهلع بين المجتمعات الآمنة. كما تكمن خطورته في آثاره التي تضرب بجذورها في الأعماق، حيث يصعب إزالتها. والدليل على ذلك آثاره الممتدة إلى عصرنا الحاضر والتي نلمسها في صورة من صور الفكر الإسلامي المعاصر. كما أن أعداء الإسلام يُضفون الشرعية على المتطرفين، ليس فقط يمثلون الإسلام والناطقون باسمه، بل أصبح الإسلام والتطرف شيئا واحداً في نظرهم. ولا شك أن هذه الصورة المشوهة للإسلام سيبقى أثرها قائم لأجيال وليس من السهل أبداً التخلص منها؛ إلا إذا تغير الوعي الجماعي للمسلمين.

رابعا: منهج النبي ﷺ في مواجهة ظاهرة التطرف الديني

تفعيل منهج الوسطية والاعتدال: إن أعظم تشريف خصه الله تعالى بهذه الأمة أن جعلها أمة وسطا فقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(البقرة: 143). بل فضّلها على غيرها من الأمم فقال تعالى:﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾(آل عمران: 110). "والوسط في كلام العرب الخيار. والله تعالى وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا

بالترهب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار، لأن الخيار من الناس عدولهم". والوسطية هي"الحق بين باطلين..والعدل بين ظلمين..والاعتدال بين تطرفين..والموقف العادل الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للغلو-إفراطا وتفريطا" وجمع سيد قطب معاني الوسط الذي نسب للأمة الوسط في قوله: " وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي". أما عن معنى الوسطية في العرف الشائع " في زماننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق". "فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية والعكس". فمن خلال ما تقدم نرى أن معنى الوسطية في الاصطلاح هو الوسط والاعتدال بين تطرفين، وما يجب أن ننبه إليه أنه ليس من التطرف طلب الأكمل في العبادة، لكن الإفراط المؤدي إلى الهلاك هو المنهي عنه شرعا،

مدلولات الوسطية من الكتاب والسنة

– **القرآن الكريم**: قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾(البقرة: 143)، وقوله أيضا، ﴿**مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ**﴾ (المائدة: 89).

–**من السنة النبوية**: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة**»، والمراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل، وفي حديث آخر عن عبد الله قال: خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في

الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به–أو قد أحاط به– وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**» .

مظاهر تفعيل الوسطية والاعتدال في مواجهة ظاهرة التطرف الديني: ومن أمثلة ذلك مايلي:

1- في علاج الجهل بالدين: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حَجْرَةً إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مُغْضَبًا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «**مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**». وقد نهاهم الرسول ﷺ عن ذلك، لأنه تقول في الدين بغير علم، وتحكيم للرأي الذي أساسه الجهل بالدين، المؤدي للهلاك.

2- **في علاج التعصب:** عن سفيان بن عيينة، قال: سمع عمرو جابر بن عبد الله يقول: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فَكَسَعَ رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» **قالوا:** يا رسول الله كَسَعَ رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال: «**دعوها، فإنها منتنة**». والمطلع على التاريخ يجد أن كثير من الحروب الطاحنة والأزمات كان سببها التعصب الفكري.

3– في علاج اتباع الهوى: ما جاء في علاج اتباع الهوى، فعن أبي ذر ﷺ قال: قلت يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «**أفضل الجهاد أن جاهد الرجل نفسه وهواه**». ومن ثم يتبين أن أكبر جهاد هو

جهاد هوى النفس، فإذا تمكن الإنسان من التغلب على نفسه وهواه فقد وفق للخير، ومثال اتباع هوى النفس ما روي عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: «**مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه**». ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه ليس على المسلم أن يبتكر أساليب جديدة للتقرب إلى الله تعالى، أو أن يحرم نفسه من الطيبات وما أحل الله له، وهي الفتنة التي وقعت فيها غلاة المتصوفة كما وقعت فيها النصارى من قبل لقوله تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(الحديد:27)، والرسول ﷺ لما حذر المسلمين عامة من التطرف ليس لكونهم لا سمح الله خرجوا عن الإسلام، وإنما أراد أن يبين لهم ولأمثالهم أنهم خرجوا عن منهج الوسطية والاعتدال كون الإسلام من أكثر الديانات التي حاربت التطرف ونبذته، وبالمقابل دعت إلى الوسطية والتيسير في الأمور كلها. فالإنسان في آخر المطاف مخلوق ضعيف لا يستطيع أن يعيش متطرفًا وان تظاهر في بداية الأمر بذلك فهو لا يستطيع في الغالب المواصلة لأن فيه مشقة على النفس. ومرتع الشاهد قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾، (النساء: 28). كانت هذه بعض النماذج المختارة في معالجة أسباب التطرف الديني، وغيرها كثير يصعب جمعها في مقالة، وتخلص الباحثة إلى أن للوسطية بمفهومها الشرعي دور كبير في حماية الأفراد والمجتمعات من الحد من ظاهرة التطرف الديني وغيرها من الانحرافات.

خلاصة ونتائج

أولا: يعود التطرف الديني في واقعنا المعاصر إلى أسباب كثيرة، أهمها الجهل بالدين.

ثانيا: هناك صفات كثيرة تجمع بين المتطرفين قديما وحديثًا، أهمها الجهل بالدين، التعصب الفكري، وإتباع الهوى.

ثالثا: من خلال دراسة الأسباب التي أدت إلى التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة، نستنتج أن السنة النبوية قد بينت أن الجهل بالدين هو من أعظم أسباب الضلال المفضي إلى التطرف الديني.

رابعا: يعود غياب الفكر الوسطي للدين لانعدام التعريف به وعدم تفيعله في مجالات الحياة المختلفة.

خامسا: يترك التطرف الديني آثارا عميقة. من بينها صرف الأمة عن القيام بدورها الحضاري في الإصلاح، وليس من السهل التخلص منه؛ إلا إذا تغير الوعي الجماعي للمسلمين.

سادسا: تتميز السنة النبوية بأسلوب خاص ومميز في تشخيص أسباب التطرف الديني، وتقديم العلاج المناسب للحد من ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات المسلمة المعاصرة.

توصيات

أولا: لا بد من العمل على إنشاء مواقع كثيرة تزاحم المواقع الأخرى التي تشوه صورة الإسلام، بغرض إظهار الصورة الحقيقية للإسلام.

ثانيا: توجيه اهتمام الطلبة والباحثين إلى أهمية الحديث عن الفكر الوسطي، والعمل على نشره في المجتمع.

ثالثا: نشر ثقافة يسر الشريعة الإسلامية بين المسلمين جميعًا. وتشديد العقوبة على كل من يستعمل خطاب الكراهية والتطرف، أو يحرض على عليهما.

قائمة المصادر والمراجع

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، (د.ب، المكتبة السلفية، د.ط، د.ت).

ابن البيع، *المستدرك على الصحيحين*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411ه/1990م).

ابن القيم الجوزية، *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*، تحقيق محمد عزيز شمس (د.ب: دار عالم الفوائد، د.ط، د.ت).

البخاري، *التاريخ الكبير*، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1420ه/1999م).

البخاري، *الصحيح*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (د.ب: دار طوق النجاة، ط1، 1422ه).

الشاطبي، *الاعتصام*، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت).

الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (د.ب، دار ابن عفان، ط1، 1997م).

الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن*، (مصر: المطبعة الكبرى الأميرية،1323ه). عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي، *نحو مجتمع آمن فكريا*، (الرياض، د.م.ن).

علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان، *كتر العمال في سنن الأقوال والأفعال*، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا،(د.ب: مؤسسة الرسالة، ط1401،5هـ/1981م).

عنتر مرزوق، *ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات العربية*، (الجزائر: مجلة العلوم الإنسانية، 2018م).

غالب عواجي، *المذاهب الفكرية المعاصرة*، موقع:https://dorar.net

ابن فارس، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1998م).
مجموعة مؤلفين، *أضواء على التعصب*، (بيروت: دار أمواج، ط1، 1993م).

محمد عابد جابري، *الدين والدولة وتطبيق الشريعة*، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1996م).

مسعود صبري، *الغلو في الدين والحياة*، (الكويت: المركز العالمي للوسطية، ط1، 1432ه/م2011).

مسلم، *الجامع الصحيح*، (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت).

ابن منظور، *لسان العرب*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1419ه/1999م).

ناهد عرف، *مناهج البحث العلمي*، (القاهرة: دار الكتاب للنشر، ط1، 2006م).

نسيبة عبد العزيز العلي المطوع، *التعصب مدمر الحضارات*، (ب.م.ن).

يوسف القرضاوي، *الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف*، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط3، 1402ه).